



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية  
قسم اللغة العربية



# المكان في شعر صفي الدين الحلي

رسالة تقدّم بها  
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى ،  
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة  
العربية وآدابها  
للطالب  
عادل خضير أحمد

بإشراف :  
الأستاذ الدكتور  
صلاح مهدي

كانون الأول 2014م

ربيع الأول 1436هـ

أ  
ب ب ب



## الفصل الأول

### المكان الموضوعي (الواقعي) في شعر صفي الدين الحلي

إن المكان جزء من العمل الفني بوصفه عاملاً مؤثراً في صياغة التجربة الأدبية التي تحدد مسارها ، ويركز فيها وقوع الأحداث ضمن زمن داخلي، نفسي ، تحدده التجربة في العمل الفني<sup>(1)</sup> ، إذ يمثل المكان الموضوعي (الواقعي) المكان المعاش الذي يمثل ((البعد المادي للواقع))<sup>(2)</sup> ، وتبنى ((تكويناته من الحياة الاجتماعية ونستطيع ان نؤشر عليه بما يماثله اجتماعياً وواقعياً))<sup>(3)</sup> ؛ ذلك لأنه ((يستخرج من الأشياء المادية الملموسة))<sup>(4)</sup> ، وفي هذه الحالة يصبح المكان الواقعي باعثاً على توليد صورة متخيلة تعكس إحساس الشاعر بالمكان الأصيل حتى تخالط نفسه مؤثرات ذلك المكان الذي يؤثر فيه تأثيراً بالغاً يظهر في نمو شخصيته الأدبية وتطور تجربته الشعورية وميلها إلى إحساس معين .

والفنان المبدع يستطيع أن يأخذ ملامح العالم الواقعي فيمزج فيه ذاته متحدداً معه ؛ ليرسم لوحته الفنية المعبرة فيصبح هذا المكان أو ذاك خاصاً به ، وهو الذي يحدد أبعاده عبر خياله الخلاب .

(1) ينظر : المكان عند الشاعر العربي قبل الإسلام ، حيدر لازم مطلق : 17.

(2) إشكالية المكان في النص الأدبي ، ياسين النصير : 55 .

(3) الرواية والمكان ، دراسة في فن الرواية العراقية ، ياسين النصير ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980م : 27/1 .

(4) جماليات المكان (بحث) ، اعتدال عثمان ، مجلة الأقلام ، 1986م ، ع(2) .



إن المكان الموضوعي قد اكتسب أهميته ودلالاته وإيحاءاته نتيجة ظروف خاصة تعرض لها الشعراء أنفسهم ، فعمّقت إحساسهم بالمكان وأظهرت حقيقة مشاعرهم ، ولذلك لم يكن هذا الإحساس طارئاً أو شعوراً مبالغاً يزول بزوال العوامل الباعثة أو المؤثرة ، وإنما فرضته طبيعة التجربة التي عاشها الشعراء فاتسمت بصفات عكست طبيعة واقعهم وحياتهم بشكل غير مصطنع ؛ فظهرت الأماكن الأليفة شاخصة أمام أبصارهم ، تلح على وجدانهم وتستفز مخيلتهم .

وللمكان الموضوعي أثر بارز في حياة الشاعر لأسباب تتصل بتجاربه الذاتية وظروفه ، فكل مكان من تلك الأماكن الموضوعية له ذكرى خاصة في نفسه؛ لذا نجد الشاعر يحس بالألفة والحنين تجاه تلك الأماكن ، وظهور تلك المعاني النبيلة في شعره لم يكن وسيلة يحاول من خلالها أن يسد نقصاً ما ، أو يقلّد أنموذجاً بات في مخيلته بل إنه يشعر حقاً بالانتماء إلى قيم الألفة والحماية وقد يراها متنفساً ومهرباً وملاذاً يلجأ إليه حين يتعرض لضنك العيش ويحاصره الماضي بأماكنه الثاوية ، وحين يعتلج في نفسه الشوق إلى مراتع الصبا وديار الأحبة ومرابع الأهل .

ومثلما عمّقت التجربة لدى صفي الدين الحلي الإحساس بأماكن الألفة ، عمّقت لديه كذلك الإحساس بالأماكن غير الأليفة (المعادية) التي تمثل حالة الرفض والتمرد لما ينطوي عليه إحساسه من أسباب الخوف وتزعزع الاستقرار النفسي ، وانعدام الثقة والألفة بين تلك الأماكن وشخصية الشاعر ، ويمكن أن ننطلق من تسمية المكان الموضوعي إلى اتجاهين : الاتجاه الأول : المكان الأليف ، الثاني : المكان غير الأليف ، ويتناول الباحث هذين الموضوعين في



مبحثين خاصين لهذا الفصل مبيناً بطريق الموازنة الإحساس العميق الذي مثله انتماء الشاعر للمكان الذي توافرت فيه ذكرياته وعواطفه وطموحاته وآماله وآلامه على نحو يعتصر فيه الجميع مقدماً صورة تلك النفس الشاعرة ذات الإحساس المرهف .

## المبحث الأول المكان الأليف

يرى جاستون باشلار أن المكان الأليف هو الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة ، وتشكل فيه خيالنا ، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث



فينا ذكريات الطفولة<sup>(1)</sup> ، وهذا صحيح فليس من تأثير أقوى في الذهن وأرسخ من تلك البدايات الأولى للطفولة والصبأ التي تتشكل منها ملامح الإنسان الفكرية ، والنفسية ، والاجتماعية ، وتشكل هذه الملامح بمجموعها قوة فعّالة تشعرنا بالراحة والانسجام والتآلف مع محتوياتها ، فهو ذلك المكان الذي عشنا فيه وتآلفنا معه وغمرنا بالدفء والحماية والاحتضان ، إذ أصبح كل ركن وزاوية فيه مادة خصبة لذكرياتنا الجميلة<sup>(2)</sup> ، فالمكان الأليف ليس مكاناً عادياً وإنما هو مكان قد امتزج فيه الخيال بأحلام اليقظة ، حتى بات مصدراً من المصادر المهمة التي تلهم الذاكرة بالصورة والألوان والأصوات<sup>(3)</sup> .

وقد يستغرب القارئ حين يقرأ أن المكان قد نعت بالألفة وهو جماد ، والحق أن المكان الأليف هو المكان المألوف الذي يترك في نفس الآخر أغلب دواعي الطمأنينة والارتياح والرضا كما سبقت الإشارة إليه ؛ لتوافر ما تحتاجه متطلبات الإنسان في حياته اليومية ، هذا من ناحية التجريد البحث في تعامل الإنسان مع المكان ، إلا ان هناك عوامل أخرى تجعل الأماكن مألوفة لدى قاطنيتها تخرج عن طبيعة ضرورات الحياة ، وأعني بها العوامل النفسية التي تجعل وفرة الألفة في المكان بعيدة عن الواقع ورهينة بالعواطف ، فقد تجد مكاناً

(1) ينظر : جماليات المكان ، باشلار : 52 .

(2) ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق ، الوصف وبناء المكان ، د. شجاع مسلم العاني : 99/2 .

(3) ينظر : المصدر نفسه : 84/2 .



غير مألوف يراه غيرك مألوفاً ، وقد تجده غير ملائم بينما يجده غيرك ملائماً على الرغم من خلوه من كثير من ضرورات الحياة .

فالمكان الأليف إذن هو المكان ((الذي تشعر الشخصية المتعايشة فيه بالدفء والألفة ، فالشخصية فيه تمارس أفعالها على سجيتها ، دون خوف من الخارج المعادي وتهديداته ، فنراها مطمئنة هادئة فرحة))<sup>(1)</sup> .

وتبعاً لذلك فإن المكان الأليف على وفق هذا المعيار لا يخضع لتقويم خاص بعينه ، أو رؤية بنفسها إنما يكون تبعاً للانسجام القائم بين المكان وقاطنه بفعل تحكم الذات بالموضوع من أجل خلق حالة متوازنة بين الطرفين .

ومن خلال استقراء الباحث لديوان صفي الدين الحلي وجد أن المكان الأليف يتمثل لديه بالبيت والإطلال والمدن ، وسيحاول الباحث في هذا المبحث أن يوضح هذه الأمكنة من خلال عرض النصوص الشعرية الدالة على ما ذكرنا .

## - البيت أو الدار :

البيت هو المأوى الذي يضم الأسرة داخله ، لذا فهو للإنسان بمثابة الأم الحنون أو هو التركيبة التي تأخذ من الأم صفاتها البنائية<sup>(1)</sup> ، لذا فهو ليس مساحة مادية فحسب ، بل حالة احتضان نفسي وجسدي .

(1) جماليات المكان ، باشلار : 38 .





ولأن الإنسان مرتبط أشد الارتباط بالبيت الذي يسكنه ولحاجته إلى التحدث مع كل ما من شأنه أن يتصل بمن أحب ، تراه يشخص المكان ويكلمه ويبثه أحزانه؛ ولذلك نرى صفي الدين الحلي يستنطق ديار أحبته لعلها تخبره بأخبارهم إذ يقول : [الخفيف]

يا ديارَ الأحبابِ ما كانَ أهني      بمفانيك ، عيشنا ، وأحيلي  
كم جَلونا بأفكِّكَ البدرِ صُبحاً      واجتَلينا بجوِّكَ الشَّمسَ ليلاً  
وأمنَّا الأعداءَ لَمَّا جَعَلنا      سُورَ تلكَ الدِّيارِ رَجلاً وَخَيْلاً<sup>(1)</sup>

فالبيت الأول - وهو نافذة القصيدة - يوحي بدفقة شعورية تجاه الديار ، وذلك عبر الاستهلال بالنداء الذي جعل أول ملامح تشخيص المكان يتحقق على المستوى التركيبي باعتماد أسلوب النداء (يا ديار الأحباب) في مقدمة القصيدة ، ويؤدي ذلك بدوره إلى ظهور المكان بشخصية محورية مع شخصية الشاعر ، إذ يقيم في حوار مع المكان علاقة ودية نلمسها بوضوح من خلال الأداة (يا) مما يدل على أن الشاعر أضفى الروح الإنسانية على ديار الأحباب ، إذ يشير النداء في أبسط دلالاته إلى نوع من العلاقة الحميمة التي تجمع بين المنادي والمنادى<sup>(2)</sup>

(1) ديوان صفي الدين الحلي ، شرح : د. عمر فاروق الطباع ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1997م : 250-251 .

(2) ينظر : النسق القرآني ، دراسة أسلوبية ، محمد ديب الجاجي ، شركة دار القبلة ، ط1 ، 2010م : 407 .



كما استعمل صفي الدين الحلي أدوات النداء المختصة بالقرب فنأدى بها البعيد وكأنه يريد الإشارة إلى أن هذا البعيد بجسده هو قريب إلى قلبه ، ونفسه حاضرة في تصويره المستمر ، فكل حركة نفسية ذات مشاعر تدفع الإنسان إلى التعبير عنها ببناء ما بطريقة تلقائية ولو لم يشعر بأن هذا النداء يحقق مرجوًّا أو مأمولاً .

والذي يثير المتلقي ويجعله أكثر إحساساً بمعاناة صفي الدين الحلي هو أنه أضاف الدار إلى الأحبة ، فكان الفراق عنده يمثل ألمين ، ألم فراق الدار وألم فراق الأحبة الذين سكنوه ، هذه العلاقة ما بين المكان والأحباب ما هي إلا ((علاقة ولاء ، تحركها انفعالات الشاعر))<sup>(1)</sup> .

والذي يبدو لي أن إضافته هذه تجسد حقيقة مهمة وهي أن المضاف يسكن جسده والمضاف إليه يسكن روحه .

وهكذا تتعدد أساليب عرض الصورة في النص الشعري وفقاً لصيغ فنية وأسلوبية ، تتنوع بتنوع الغرض والهدف من إيراد النص ، ولعل من التعابير الإسلوبية اللطيفة زيادة (كان) بين (ما) و(أفعل) التعجب ؛ للدلالة على أن الصفة المتعجب منها كانت في الماضي ، جاء في الكتاب : ((وتقول : (ما كان أحسن زيداً) فتذكر (كان) لتدل أنه فيما مضى))<sup>(2)</sup> ، فلا يخفى على المتلقي أنها وإن

---

(1) الاتجاه النفسي في نقد الشعر ، د. عبد القادر فيدوح ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1992م : 265 .

(2) الكتاب ، سيوييه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، 1988م : 37/1 .



كانت زائدة ليشم منها رائحة الماضي السحيق ، فهنا يريد صفي الدين الحلي بقوله :  
[الخفيف]

يا ديارَ الأحبابِ ما كانَ أهنيَ      بمغانيكَ عيشنا وأحلي<sup>(1)</sup>

إن يبعث الحزن والشجى والألم في نفسه أولاً قبل نفس المتلقي ؛ ليرسم لنا صورة مفادها أن العيش الهانئ الذي كان ينعم الشاعر به إنما أصبح في الماضي .

وعلى المستوى البلاغي يتمثل ملمح جديد للتشخيص باعتماد (كم الخبرية) التي حذف تمييزها اتساعاً في المعنى ، وذلك في قوله : [الخفيف]

كَم جَلَوْنَا بِأَفْكَ الْبَدْرِ صُبْحاً      وَاجْتَلَيْنَا بِجُوكِ الشَّمْسِ لَيْلاً<sup>(2)</sup>

فهنا يحتمل البيت المصدرية والمكانية والزمانية ، و(كم) الخبرية تفيد الكثرة، فهو يشير إلى كثرة السهر مع الأحبة في تلك الديار التي تركها الشاعر والتي طالما كانت جلسات سمرهم تجلو ظلام الليل ويشق الصبح كآبة الظلام .

إن معطيات الشعر تكشف عن حقائق مذهلة ، تخص بيوت الكرم ، تميزها عن سواها من البيوت الأخرى ، ويأتي (موقع البيت) دالة فريدة على اكتساب مثل هذه الأمكنة خاصية الكرم ، إذ تُعرف أو تشتهر بينهم تاريخياً واجتماعياً<sup>(3)</sup> ، فصفي الدين الحلي استحضر في شعره المكان / المنزل ليرمز به إلى علو منزلته وشرف مكانته التي استطاع أن يبنيها لنفسه إذ قال : [الوافر]

وَنَحْنُ بِمَنْزِلٍ لَا نَقْصَ فِيهِ      رَحِيبِ الرَّبِيعِ مُرْتَفِعِ الْبِنَاءِ

(1) الديوان : 250 .

(2) المصدر نفسه : 251 .

(3) المكان عند الشاعر العربي قبل الإسلام ، حيدر لازم مطلق : 50 .



وَفِي دَارِي بُخَارِيٍّ وَخَيْشٍ      أَعْدَا لِلْمَصِيفِ وَلِلشِّتَاءِ  
فَهَذَا فِيهِ شَادُرَوَانُ نَارٍ      وَهَذَا فِيهِ شَادُرَوَانُ مَاءٍ<sup>(1)</sup>

فالمكان / المنزل هنا وُظِفَ من أجل بيان حالة الشاعر الاجتماعية ، وفي هذه المنازل تتشكل صورة العيش الهانئ لما يتوفر له من وسائل الحياة .  
ولرغبة صفي الدين الحلي في الوصول إلى هذه المعاني الفاضلة ، استدعى هذا المكان بوصفه عاملاً مساعداً في إثبات ما يريد من قيم اجتماعية إيجابية .

ومن خلال استعراض هذه المعاني التي رمز المكان / المنزل إليها نجدّه يشير إلى انه مكان (المتعة والاسترخاء والراحة) له<sup>(2)</sup> .

ولا غرابة أن يعتمد الشاعر هنا الخلفية الدينية أو العقائدية في تشكيله للمكان ، ويكون لهذه الخلفية الأثر الكبير في تشكيل بناء النص وتحميله الأبعاد الدينية ليرتفع الشاعر من المكان المادي المحدد إلى المكان اللانهائي الحامل لبعده الديني المختزن حضارة أمة ودينها وقيمها ، ((فالمكان الديني مهما كان نوعه يبقى حاملاً لفكرة روحية قد تخضع لاعتقاد الشاعر أو لا تخضع ، ولكنها على أية حال تظل معبرة عن دلالة دينية لواقع حقيقي في مرحلة تاريخية معروفة

(1) الديوان : 438 .

(2) مدخل إلى السيمياء في المسرح ومقاربة سيميائية لنص ليالي الحصاد ، زياد جلال ، منشورات وزارة الثقافة ، المملكة الأردنية الهاشمية - عمان ، 1992م : 130 .



، وقد تستجيب لدواعٍ نفسية وفنية بحثة لما تثيره من أحاسيس وكوامن عند الشعراء ، ولما تقدمه لهم من مادة جديدة ، وطريقة للتمثيل والتصوير<sup>(1)</sup>.

وقد يكون التقديس للمكان ناجماً عن أهميته في وجود الإنسان إلا انه ضرورة أساسية من ضرورات الحياة ، وقد يمتد تأثيره طويلاً في أذهان الناس، ولاسيما أصحاب الديانات السماوية الذين تستمر علاقاتهم الروحية بالأماكن المقدسة إلى يوم القيامة ، فقد حَفَلَ شعر صفي الدين الحلي بذكر الأماكن المقدسة التي تحمل دلالة دينية في قصيدة له ، وذلك حين وصل (مكة) ودخل الكعبة الشريفة إذ وقف خاشعاً لله قائلاً : [المنسرح]

يَا رَبِّ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ وَالِدَاخِلُ بَيْتِ الْكَرِيمِ فِي حَسَبِهِ

لَا يَخْتَشِي سُخْطَهُ عَلَيْهِ وَلَا يَحْذَرُ مِنْ مَكْرِهِ وَلَا غَضَبِهِ<sup>(2)</sup>

إلى آخر القصيدة التي تنمُّ عن شخصية إيمانية إسلامية محبة لله ولرسوله ولمكة أشرف بقاع الأرض قاطبة ، فما استحضار الشاعر للمكان / مكة هنا إلا دليل على عمق دينه وعلاقته الوطيدة بالأماكن المقدسة ، فمكة تشكل خلفية مهمة لدى شاعرنا ؛ لما تحمله من أبعاد دينية وحضارية وتاريخية، وصفي الدين الحلي عندما يوظف مكة بوصفها رمزاً دينياً يوظف في الشعر - وإن لم يذكرها حرفياً - لم يقصد تزيين النص بها ليظن المتلقي أن الشاعر مرتبط برموز الأمة

(1) امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية ، حياته وشعره ، طاهر أحمد مكي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 1968م : 95 .

(2) الديوان : 556 .



ومتسلح بثقافة دينية ، بل ليبرز قيمتها وتأثيرها في حركة الأمة والتاريخ العربي الإسلامي ، وليظل القارئ مرتبطاً بتاريخه المجيد وحضارته الرائعة .  
ومن الواضح أن هذه المعاني التي نضّدها صفي الدين الحلي في قصيدته قد انسابت من قريحته انسياب الماء من الكأس المترعة ، واضحة مشرقة ، لا يحجب إشراقها غموض ، ولا يتقل كاهلها فلسفة ، وإنما فاضت به نفس شاعرنا وهي تستحضر ذلك المكان / مكة ، المشبعة بالرؤى والرموز ، لما تمثله في وجدان الإنسان المسلم ، فهي لم تكن يوماً مجرد مدينة مكانية من حجر ، وطين ، وتجارة ، وسياسة ، لقد كانت دوماً مكان الحلم والتوق وتطلع النفس البشرية إلى الله ، ومن هنا كانت صورة صادقة لنفسية قائلها ، وسمتها بوسام الجدة ، وطبعتها بطابع الواقعية ، ولونتها باللون الإسلامي الواضح .

ويكشف صفي الدين الحلي عن هويته الإسلامية ، وذلك حين ((دخل ضريح الرسول محمد (ﷺ) فوقف فيه وأنشد طالباً الشفاعة<sup>(1)</sup> ، بقوله : [المتقارب]

بِكُمْ يَهْتَدِي يَا نَبِيَّ الْهُدَى      وَلِيَّ إِلَى حُبِّكُمْ يَنْتَسِبُ  
بِهِ يَكْسِبُ الْأَجْرَ فِي بَعْتِهِ      وَيَخْلُصُ مِنْ هَوْلٍ مَا يَكْتَسِبُ  
وَقَدْ أَمَّ نَحْوَكُمْ مُسْتَشْفِعاً      إِلَى اللَّهِ مِمَّا إِلَيْهِ نُسِبُ<sup>(2)</sup>

ويبدو أن علاقة الذات الشاعر الحميمة بالمكان / ضريح الرسول محمد (ﷺ) ، ساعدت أساساً على تشكيل جماليات مبعثها عملية التفاعل مع المكان وقاطنه ،

(1) شعر صفي الدين الحلي ، جواد أحمد علوش ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1959م : 63 .

(2) الديوان : 88 .



وذلك من خلال إضفاء كمٍّ من الشحنات الانفعالية في قالب فني مكثف يعكس العلاقة الروحية الحميمة التي تجمع بين الشاعر والرسول محمد ﷺ ، إذ يبدو أثر الإسلام واضحاً في النقاط هذه الألفاظ ، مبرزاً فيها الشاعر عن حقيقة شخصيته التي تنزع في النهاية إلى الرجوع إلى الله (ﷻ) بخشوع العبد الذي يفخر بانتسابه إلى النبي الأكرم (ﷺ) ودينه الحنيف .

### - الطلل :

يتشكل الطلل من تعالق الإنسان مع المكان ، ولكن العلاقة تكون هذه المرة مبنية على مفارقة الإنسان للمكان والارتحال مخلفاً وراءه الرّبْع ليتحول اسمه إلى الطلل ، وإن مَثَل الجسد فإنه الذاكرة أيضاً ، تلك التي تحدث العصف الذهني في الذاكرة الأخرى - ذاكرة الشاعر - فكل حضور للطلل يشكّل إيذاناً بعاصفة الذكريات السابقة وما كان يجري قبل الرحيل ، وعلى هذا الأساس فالمقدمة الطللية تصف مكاناً منتمياً إلى ماضي الشاعر مستعيناً بالذاكرة .

إن الدراسات الحديثة قد تباينت في تفسيرها للوقفة الطللية وبكاء المكان ، فيرى محمد عبد المطلب أن الوقوف على الطلل عند القدماء يشكل ((عملية فنية ترتبط بالمتلقي اعتماداً على سحر التوصيل ونشوة التوقع لا لينقل المتلقي إلى



معايشة تجربة الشاعر ، وإنما ليوجب عليه حق الاستماع لما يلي ذلك من أجزاء القصيدة وأبياتها)) (1) .

إن الوقوف على الطلل والبكاء عليه يرجع للإحساس المرهف الذي يمتلك الشاعر ، ثم أنها تحولات إلى مراسم يقدّم فيها اللاحق السابق ؛ فالإنسان يمضي وقتاً ليس بالقليل ، يعيش فيه مع الماضي ، ولعل المقصود بالاحتواء على الزمن المكثف أي الاحتفاظ بالأحداث والذكريات الماضية عبر الزمن الطويل في الذاكرة بشكل مكثف أو إن ذاكرة المكان تختزل زمن الأحداث المتباعدة ، وإن ذاكرة الشاعر تلتقي مع المكان في استدعائه للأحداث المختلفة عبر الأزمان المتباعدة .

وعند الاقتراب من المكان / الطلل في شعر صفي الدين الحلي ، فإننا نوشك على الالتحام مع هذه الرؤية في بعض جوانبها ، لنستمع إليه وهو يقول :

[الخفيف]

كَيْفَ أَنْسَى تِلْكَ الدِّيَارَ وَمَغْنَى      عَامِراً قَدْ رَبَيْتُ فِيهِ طُفَيْلاً(2)

يستهل الشاعر البيت الشعري بالاستفهام ، ولا جدال ((أن الاستفهام أوفر أساليب الكلام معاني وأوسعها تصرفاً وأكثرها في مواقف الانفعال وروداً ، ولذلك نرى أساليبه تتوالى في مواطن التأثير وحيث يراد التأثير وهيج الشعور للاستمالة

(1) قراءة ثانية لشعر امرئ القيس ، الوقوف على الطل ، د. محمد عبد المطلب ، مجلة الفصول ، القاهرة ، ع(2) ، 1984م .

(2) الديوان : 250 .



والإقناع وإذا صح القول : إن للكلام قمة عليا في البلاغة كان أسلوب الاستفهام محتلاً أعلى مكان في تلك القمة<sup>(1)</sup> .

فالنص الشعري اشتمل الاستفهام بالأداة (كيف) وقد خرج الاستفهام إلى معانٍ أخرى ، وقيمة فنية أسلوبية فأفاد معنى النفي ؛ أي لا ينبغي لي أن أنسى ، وتحتمل التعجب ، أي أنه يتعجب ممن يظن أنه سوف ينسى ، وكذلك تحتمل الحالية ، أي أن الشاعر رغم البعاد ورغم ما أصابه من ألم الفراق لا ينسى تلك الذكريات الحاملة فمقتضى الحال وما أوحى به لفظ الفعل (أنسى) الدال على الحال والاستقبال الذي جاء في سياق النص الذي أفصح بجلاء عن المعنى المجازي الذي جاء به الاستفهام .

وقد وظّف الشاعر هذا الأسلوب للدلالة على أكثر من معنى أفهم المتلقي أن النسيان محال بالرغم من طول البعد الذي أشعرنا بالبعد هو استعمال الشاعر اسم الإشارة (تلك) ، إذ أن لاستعمال اسم الإشارة مزايا أساسية منها الإيجاز وتقادي التكرار اكتفاءً بدلالة اسم الإشارة .

ولم يترك الشاعر عبارة (الديار) و(المغنى) والذي يبدو لي من خلال تكرارها أن الديار لم تكن إطلالاً لأنقاض بالية كما كانوا يعدّونها في الجاهلية ، وإنما كانت ترفل بأرق أجواء الطبيعة التي رمز لها صفي الدين الحلي بالمغنى، والمغنى كلمة تضم في طياتها أجواء خلاصة بديعة .

---

(1) فن البلاغة ، د. عبد القادر حسين ، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط2 ، د.ت : 137 .



أمّا كلمة (عامراً) فهي قرينة لفظية توضّح للمتلقي ان الشاعر لم يترك دياره خراباً بل كانت مزدهرة .

ذكر الشاعر كلمة طفيلاً محاولة منه لاستنكار الأيام الماضية لما لها من أثر في نفسية الشاعر .

ويجدر بنا التنبيه إلى حقيقة مهمة في واقع البناء الفني لهذه الأبيات ، تلك هي اننا نلمس في هذا النص عدم امتلاك الشاعر أدوات التعبير الفنية المعبرة عن عمق الدلالة بين الشاعر والمكان / الطفل ، إذ تبدو اللغة البسيطة التي استعملها الشاعر ، وهو ما نلمسه من خلال الألفاظ (طفيلاً وربيتُ) ثم لا مكان لتصغير الطفل هنا ؛ لأن الطفل مصّغر ، والمصغر لا يصغّر<sup>(1)</sup> ، ولو قال : (وليداً) لكان أقوى وأصوب للمعنى ، ولو قال : (لبثتُ) لكان اللفظ أقوى دلالة من لفظة (ربيت) .

إن التجربة الجمالية التي اعتمدها صفي الدين الحلي في بنائه الفني قائمة على أساس امتزاج عناصر هي : (المكان ، والزمان ، والحبيبة) مزجاً فنياً ، فكان شعره صورة معبرة عن الذات المعذبة التي أصابها الدهر بسهامه ورماتها بشتى صنوف المصائب ، وتمثلت هذه الصورة بعناصرها الثلاثة في قصيدته

---

(1) ينظر : المهذب في علم التصريف ، د. هاشم طه شلاش ، د. صلاح مهدي الفرطوسي ، د.

عبد الجليل عبيد حسين ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة :



التي يظهر فيها الشاعر عشقه للمكان مستعيناً بالصورة الفنية في إيصال مشاعره النبيلة ، إذ يقول : [الخفيف]

أُتْرِى الْبَارِقَ الَّذِي لَاحَ لَيْلَا      مَرَّ بِالْحَيِّ مِنْ مَرَابِعِ لَيْلَى  
وَتَرَى السُّحْبَ مُذْ نَشَأْنَ ثِقَالاً      سَحَبَتْ فِي رُبُوعِ بَابِلَ ذَيْلَا  
مَا أَيْضَا الْبَارِقُ الْعِرَاقِيَّ إِلَّا      أَرْسَلَتْ مُقْلَتِي مِنْ الدَّمْعِ سَيْلَا<sup>(1)</sup>

ولعلَّ القراءة المتأنية لهذه الأبيات تبين لنا أن الرصيد الإبداعي للحركة الصادرة عن المكان - التحول من الديار الأصلية إلى ديار الغربية - أكتسب أثراً مهماً في الإيحاء بصورتي المكان والدلالة على الجو النفسي المميز له فصورة (البارق) وهي تسحب ذيولها وتدرّ المطر على تلك الديار بذلك المكان، ولنا أن نلمس التناسب الذي أحدثه الشاعر بين السحاب ودموعه ، فكلاهما يدر السائل (المطر والدموع) ، فالسحب تمطر خيراً على المكان ، والعيون تسكب دمعاً على فراقه ، وإنها حقاً صورة حركية نكاد نراها ونشعر بها .

ويرسم الاستفهام الذي يرافق شاعرنا ، ولازال سمة بارزة من السمات الأسلوبية التي ميّزت أسلوبه ، الذي زاد الاستفهام جمالاً افتتاح البيت بتاء الخطاب التي تشعرك بأن الشاعر ينشدك قوله بنفسه ، وكلمة (أتري) كلمة تتسع بإيقاع وجرس شفاف لطيف الوقع على النفس دأب الشعراء الكبار على توظيفها ، ولعلَّ مما يطالع ذاكرتنا قول أبي الطيب المتنبّي : [الخفيف]

أُتْرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَاقِ      تَحَسَّبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِي<sup>(1)</sup>

(1) الديوان : 250 .

## Abstract

All thanks are due for Allah, praise and blessings are on the final prophet, Mohammed, and his family and companions and those who follow him.

The study aims at studying the significance of place in the poetry of Safieddeen Alhilli in terms of his humanitarian experience which mirrored the poetic vision of the tormented self. The thesis comprises three chapter, preceded by a preface and followed by a conclusion summing up the findings of the study, followed then by a bibliography.

The preface deals with the linguistic, conventional and philosophical meaning of place as well as identifying the significance of place in literature. Chapter one is allocated to the study of "The Objective Place", which is in turn subdivided into two sections; familiar place, and unfamiliar (hostile) place.

Chapter two tackles verses of time and place and their connotations. I concentrated in the first section the connotation of general place, while in the second I shed light on the connotation of breeze. The third chapter is conducted to deal with "The Objective and Artistic Treatment of Place". It is, as well, divided into two sections; the first studies the delineation of place for poetic purposes, while the second with the treatment of place in the rhetorical image.

The present study is a textual one questing for the significance of place in the poetry of Safieddeen Alhilli. A poetry that was the source of nostalgia, sighs and pains, the instigator of feelings and the exposor of the tormented self because of departure from family and loved ones. Therefore, the study moves within the range and scope of this analysis.